

نماذجية التعبير القرآني.

أ. حسين عبد الكريم *

جامعة عبد الرحمان ميرة — بجاية hcnkrm@gmail.com

النشر: 2023/04/20

القبول: 2023/01/18

الإرسال: 2022/09/28

الملخص: يهدف هذا البحث إلى النظر في نماذج أسلوب القرآن الكريم وتصنيفها، أكثر مما ينظر في تحليلها، لأنّ تحليلها وتأويلها غرض عصي على التحقيق في كثير من الأحيان. فالخطاب القرآني يوظف تعابير فريدة مختلفة عن أساليب الكتاب والشعراء، من حيث المفردة المعجمية، وتصريفاتها، ومن حيث التراكيب المتنوعة. حيث يلتزم نماذج معينة لكل أسلوب خطابي. وذلك لخدمة أغراض متنوعة، والتعبير عن دلالات خاصة. وهذا الالتزام بنمط معين، وبنموذج أسلوب خاص، ينسحب على كل السياقات القرآنية التي تصب في الموضوع نفسه، فيكون نسيج النص واحداً متناغماً ومتجانساً، وهو ما أطلق عليه مصطلح النماذجية الذي سعينا إلى إيضاحه من خلال هذا البحث، وإبراز وجه الإعجاز فيه ما أمكننا ذلك.

الكلمات المفتاحية: نماذجية، أسلوب، خطاب قرآني، نمط تعبير.

Typology of quranic expression

Abstract: This research aims to look at the typology of the Holy Qur'an, and categorize the models of its style, rather than looking at their justification, because their explanation and interpretation are often difficult

* المؤلف المرسل .

to achieve. The Qur'anic discourse employs unique expressions different from the styles of writers and poets, In order to serve a variety of purposes, and to express special connotations, we may not be able to realize its essence, nor understand its purpose precisely and specifically.

Key words : typology, style, qur'anic discourse, model expression..

1- مقدمة:

إنّ الناظر في لغة القرآن الكريم يجدها تتمظهر بطريقة فريدة مميزة ؛ من حيث الألفاظ والعبارات والتصرفات. وهي تتواتر في السياق القرآني بشكل مطّرد ، وبميزان دقيق ، يجعلها القانون الثابت الذي لا يتخلف في الخطاب القرآني كله. وهو الأمر الذي يعطيها مكانة مميزة ، ومختلفة عن لغة الكتاب والأدباء والمفكرين. هذه الميزة يُطلق عليها اصطلاح ؛ النماذجية أو التيبولوجيا كما عند محمد أركون في كتابه "القرآن من التفسير التراثي إلى تحليل الخطاب"، حيث دعا الباحثين إلى النظر في أنماط التعبير القرآني ، ونماذجه الأسلوبية. وزعم أن هذا الموضوع يجب أن يُدرس بذاته ولذاته. وقد انطلق في نظريته هذه ؛ من مفهوم كل من كلمة "كفار"، وكلمة "مؤمنون"، في السياق القرآني ، حيث أظهر أن الكلمة الأولى كانت تطلق على الناس الذين كانوا يطالبون ببراهين مشروعة لكي يصدّقوا ، ثم انتقلت إلى وصف المعاندين حتى لو قُدّمت لهم تلك البراهين ⁽¹⁾.

والباحث في أسلوب التعبير القرآني ، يجد ملامح هذا الزعم الذي أبداه محمد أركون ، فالقرآن الكريم يختار عيّنات لفظية ، ونماذج تعبيرية لا يحيد عنها في جُلّ السياق القرآني. وذلك على مستوى المفردات ؛ معجمية كانت أم صرفية ، وعلى مستوى التراكيب أيضاً فالأمثلة كثيرة ، والنماذج متعددة كما سنرى لاحقاً.

1- مفهوم النماذجية: هي مرادفة لمصطلح تيبولوجيا typologie، أو هي ترجمة له ، ويعرّفها محمد أركون بأنها مشتقة من كلمة type، أي نوع أو نموذج ، وبالتالي فهي تعني علم الأنواع أو علم النماذج ، أو النماذجية. والمقصود -بطبيعة الحال - بعبارة "علم الأنواع أو النماذج" ، هو أنواع الأساليب اللغوية ، أو علم "العيّنات اللفظية" كما أسماها أحد الباحثين المعاصرين ، وزعم أنها ترقى إلى مستوى النظرية ؛ أي نظرية العيّنات اللفظية القرآنية ⁽²⁾.

وجاء في موقع ويكيبيديا أنّ تيبولوجيا كلمة من اصل يوناني مكوّنة من مقطعين تيبوس τύπος بمعنى ضرب أو نمط ، أو الختم الذي يتركه الخاتم ، ولوجيا λόγος تعني معرفة ، وهي منهج في تفسير الكتاب المقدس ، وموضوعها يدور في المقام الأول حول «الوعد» و «وصدق الوعد» ، وأن ما أعلن عنه في العهد القديم يتحقق في العهد الجديد ⁽³⁾ .

وورد في القاموس إنجليزي عربي ما يلي: «typology دراسة الأنماط وتصنيفها ، دراسة المتماثلات الصرفية والتركيبية في اللغة. شرح النصوص الدينية بغية معرفة الأحداث التي تمّ التنبؤ بها» ⁽⁴⁾ .

والقرآن الكريم - باعتباره كتاباً مقدساً - بحاجة إلى معرفة هذه الأنماط الأسلوبية التي ينبنى عليها النص القرآني ككل. وبصفة عامة نجده يستخدم عدة أساليب ، أو أنماطاً لغوية بحسب المقام والموضوع ، وبطريقة مُطرّدة ، وبميزان مضبوط ، وبنظام دقيق عجيب .

وقد استخدم الباحث عبد الرحمان أيوب ، مصطلح "النموذج التركيبي" للدلالة على هذه النماذجية ، حيث يقول: «ليست الجملة مجرد مجموعة من الكلمات ، بل هي إلى جانب هذا عدد من النماذج التركيبية المتداخلة.. وتطبيق هذا العدد من النماذج المجتمعة ، بالإضافة إلى النطق بالكلمات هو ما يكون الجملة الواقعية التي تفيد فائدة يحسن السكوت عليها» ⁽⁵⁾ . ويتابع كلامه قائلاً: «ولا بد لدراسة قواعد لغة من اللغات من دراسة هذه النماذج التركيبية المتداخلة لكل نوع من أنواع الجمل فيها» ⁽⁶⁾ . والقرآن الكريم أولى بهذه الدراسة من غيره .

وقد فطن الباحثون القدامى في علوم القرآن للفروق التي بين السور المكية والسور المدنية ، وذكروا خصائصهما الموضوعية والأسلوبية ، لكنهم لم يتعمقوا في ذلك ، ولم يطيلوا البحث والتفصيل في مميّزات الأساليب القرآنية كما أشار إليه صبحي الصالح ⁽⁷⁾ .

ونماذج أسلوب الخطاب القرآني لها علاقة وطيدة بالمعاني والدلالات المختلفة المقصود إيصالها إلى المتلقي ، وهي كثيرة جداً ، ومتنوعة جداً ، حتى لا يكاد الدارس يجد لها تعليلاً مقبولاً.

وإذا قارنا لغة الأدب ؛ شعراً كانت أم نثراً- منذ القديم إلى أيامنا هذه- بلغة القرآن الكريم ، لأدركنا الفرق الشاسع بينهما ؛ فلغة الأدب تغيّرت كثيراً ، مفردات وأساليب ، وأشكالاً تعبيرية ، ناهيك عن الرؤية الشعرية ، وصورها ، ولغة الرواية وفضاءاتها. ولغة القرآن كما هي لم يلحقها البلى ، ولم تصبها الشيخوخة.

لقد كان الأدب قديماً يستخدم مفردات وأساليب خاصة ، وصوراً بيانية محددة ، لم تعد تروق لأدباء العصور التالية ، وكأنها فقدت بريقها ، وتأثيرها في النفوس والعقول. أما أسلوب الخطاب القرآني ، وصوره المميزة ، فلا تزال تثير فينا كل ما يمكن أن يثيره الكلام الجميل ، والأسلوب الأنيق ، من خيال ومفاهيم ودلالات في النفوس على امتداد الزمان والمكان.

فأين السرّ في خلود نسق التعبير القرآني ؟ ولماذا لا يسأم السامع والقارئ من إعادة ترتيل وقراءة وتكرار نصوص القرآن الكريم ؟ ولماذا يبحث الأدباء دوماً عن الجديد من الألفاظ والأشكال التعبيرية ؟ فزاهم لا يكادون يستمرون على نسق واحد ، ولا يثبتون على شكل واحد ، حتى يطلبوا الجديد ، وينشدوا التحديث.

لقد حاول ابن عاشور الاقتراب من هذا الموضوع ، فسماه عادات القرآن في كلامه ، وجعل ذلك من شروط وأسس فهم الخطاب القرآني. يقول: «فَطَرَأْتُ الْمُفَسِّرِينَ لِلْقُرْآنِ ثَلَاثَ، إِمَّا الْاِقْتِصَارُ عَلَى الظَّاهِرِ مِنَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيِّ لِلتَّرْكِيبِ مَعَ بَيَانِهِ وَإِبْصَاحِهِ وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ، وَإِمَّا اسْتِنْبَاطُ مَعَانٍ مِنْ وَرَاءِ الظَّاهِرِ تَقْتَضِيهَا دَلَالَةُ اللَّفْظِ أَوْ الْمَقَامِ وَلَا يُجَافِيهَا الِاسْتِغْمَالُ وَلَا مَقْصِدُ الْقُرْآنِ، وَتِلْكَ هِيَ مُسْتَنْبَعَاتُ التَّرَاكِبِ وَهِيَ مِنْ خَصَائِصِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُبْحُوثِ فِيهَا فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ كَكُونِ التَّأْكِيدِ يَدُلُّ عَلَى انْكَارِ الْمُخَاطَبِ أَوْ تَرْدِّدِهِ، وَكَفَحْوَى الْخِطَابِ وَدَلَالَةِ الْإِشَارَةِ وَاحْتِمَالِ الْمَجَازِ مَعَ الْحَقِيقَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَجْلِبَ الْمَسَائِلُ وَيَبْسُطَهَا لِمُنَاسَبَةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَعْنَى»⁽⁸⁾.

وقد فعلت عائشة عبد الرحمان مثل ذلك في كتابها "التفسير البياني" ، فأشارت إلى أنّ إيراد عبارة "هؤلاء القوم" تأتي في القرآن الكريم خاصة بقريش ، وزعمائها. وتشير الباحثة إلى أنّ نصوص القرآن الكريم لم تنل حظها من الدراسة المنهجية الكافية ، كما حدث مع النصوص الأدبية. تقول: «وقلّ منا - نحن أساتذة العربية في الجامعات - من حاول أن يجعل من النص القرآني موضوعاً لدراسة منهجية ، على غرار ما نفعل بنصوص أخرى لا سبيل إلى مقارنتها بالقرآن الكريم في إعجازه البياني. وقد حرصت لمدى ربع قرن قضيتُه في الجامعة ، على أن أتبع أسئلة الامتحان في مواد اللغة والأدب ، في أقسام اللغة العربية بمختلف الكليات ، فلم أجد من بينها سؤالاً في البيان القرآني ، فدل هذا على أن الفكرة لم تأخذ حظها الكافي من الوضوح والتأمل»⁽⁹⁾.

وتقول في موضع آخر من الكتاب: «فسواء أكان الدارس يريد أن يستخرج من القرآن أحكامه الفقهية ، أو يستبين موقفه من القضايا الاجتماعية أو اللغوية أو البلاغية ، أم كان يريد أن يفسر آيات الذكر الحكيم على النحو الذي أُلْفناه في كتب التفسير ، فهو مطالب بأن يتهياً أولاً لها يريد ، ويُعدّ لمقصده عدته: من فهم مفردات القرآن وأساليبه ، فهماً يقوم على الدرس المنهجي الاستقرائي ولمح أسرارهِ في التعبير»⁽¹⁰⁾.

وفهم مفردات القرآن يقوم على النظر فيها من الجانب المعجمي والجانب الصرفي ، فكلية "كافرون" ، غير كلمة "ملحدون" ، معجمياً ، وغير "كفرة" ، ولا "كفار" صرفياً. ويقوم فهم الدلالة القرآنية أيضاً على معرفة الاطرادات الأسلوبية والصرفية ، وطريقة توزيع المفردات في كل الخطاب القرآني.

2 - نماذجية الأساليب الإنشائية: نذكر أربعة أساليب نراها كافية لتوضيح هذه النماذجية ، وهذا التناسق العجيب ، والنسيج المحبوك في الأساليب والألفاظ.

2-1 - نماذجية أسلوب النداء: اقتصر التعبير القرآني على حرف النداء (يا) فقط ، من بين كل حروف النداء التي في العربية. ومن بين خصائص هذا النموذج ما يلي:

- النداء بـ"يا أيها" ضمن الجملة الفعلية: وذلك في عبارة "يا أيها الذين آمنوا" ، وليس يا أيها الذين أسلموا ، ولا يا أيها المؤمنون ، ولا يا أيها المسلمون. وليس أيها الذين آمنوا ، أو أسلموا ، بدون ياء النداء. ويبدو أنّ عبارة "أيها" استعمال خاص بالبشر للبشر ، كالخطباء والسياسيين والمربين فنجدهم يقولون: أيها الشعب العظيم ، أيها السيدات الفاضلات ، أيها الحضور الكريم...إلخ.

وعند النحاة يُستخدم لفظ "أيها" للتعظيم ، فيقال: أيها الملك ، أيها الأمير ، أيها السلطنة.. إلخ. لكن هذا اللفظ الخاص بالتعظيم لا يصلح مع الذات الإلهية ؛ أي لفظ الجلالة (الله) ، فلا يُقال: أيها الله. وكأنّ ما يصلح للعباد لا يصلح لله بالضرورة. وإذا كان المنادى معروفاً بال لا بد من دخول أيّ عليه ، فلا يقال: يا الرجل ، إنما: يا رجل ، أو أيها الرجل. ولكن مع لفظ الجلالة لا يحتاج إلى واسطة ، بل يقال مباشرة: يا الله.

2-2 - نماذجية أسلوب القسم: نلاحظ أنّ التعبير القرآني لا يقول {أقسم} ، أو {أقسمت} وحدها أبداً ، إنما يورد الفعل مسبوقاً بـ "لا" ، فيقول: {لا أقسم} ، كما لاحظ ذلك فاضل السامرائي في كتابه لمسات بيانية. وقد فسّر ابن عاشور هذا التعبير بقوله: «وَلَا أَقْسِمُ بِمَعْنَى: أَقْسِمُ ، وَ(لَا) مَزِيدَةٌ لِلتَّوَكُّيدِ ، وَأَصْلُهَا نَافِيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقَائِلَ لَا يَقْدِمُ عَلَى الْقَسَمِ بِمَا أَقْسَمَ بِهِ

خَشِيَّةٌ سَوْءٌ عَاقِبَةُ الْكَذِبِ فِي الْقَسَمِ. وَبِمَعْنَى أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى الْقَسَمِ لِأَنَّ الْأَمْرَ وَاضِحَ الثُّبُوتِ ، ثُمَّ كَثُرَ هَذَا الْإِسْتِعْمَالُ فَصَارَ مُرَادًا تَأْكِيدَ الْخَبَرِ فَسَاوَى الْقَسَمَ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَقِبَهُ: وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ، وَهَذَا الْوَجْهُ الثَّانِي هُوَ الْأَنْسَبُ بِمَا وَقَعَ مِنْ مِثْلِهِ فِي الْقُرْآنِ «⁽¹¹⁾ .

ولا نجد في القرآن توظيف القسم مسنداً إلى لفظ الجلالة "الله" ، فلا يقال: أقسم بالله ؟ إنما يرد مقترناً باسم "رب" ؛ أي لا يقول: فلا أقسم بالله ، إنما يقول: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ (المعارج:40). وهو الموضع الوحيد الذي جاء فيه القسم باسم "الرب". أما إذا كان فعل القسم خاصاً بالعباد ؛ أي إذا كان الله تعالى يأمر الناس في قضايا الحدود وما شابهها بأن يقسموا لدرء العذاب ، أو غيره ، فيستعمل القسم مع لفظ الجلالة "الله" وليس مع لفظ "الرب". قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ (المائدة:106). وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ غُيِّرَ عَلَى أَتَمَّهَا اسْتَحَقَّا إِنْهَا فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾ (المائدة:107). وذلك ليختلف قسم الله تعالى عن قسم العباد ، وليكون قسمهم عبادة لله ، وإذعاناً لمشيئته ، لا لشيء آخر. أما قسم الله فهو قسم قدرة واستطاعة .

أما القسم بعبارة "تالله" فهي المفضلة ، ولا يستخدم حرف "التاء" في القسم ، إلا مع لفظ الجلالة "الله" ، إذ لا يقال: تالرب ، ولا تالرحمان ، ولا تالرحيم ، ولا تالعزیز.. أما القسم بالواو ، فيرد مسبوقاً بالفاء مع لفظ "رب" ، وذلك في آيتين فقط ؛ كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر:92) ، وقوله سبحانه: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّكَ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنَنْحَضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثًّا﴾ (مریم:68).

2-3 - نماذج أسلوب الاستفهام: هناك في هذا الأسلوب ظواهر ونماذج مطردة لافتة للنظر ، منها ما يلي:

2-3-1 - نماذج عبارة "ما أدراك" و"ما يدريك": لكل نمط من هذا التعبير وضع خاص في الخطاب القرآني ، يأتي بشكل مطرد. فقد وردت العبارة الأولى اثنتي عشرة مرة ، في السور القصيرة ، ووردت مرتين في الانفطار وفي المطففين ، وفي القارعة أيضاً. وحين يذكر الخطاب القرآني تلك العبارة يأتي بعدها بالإيضاح ، أو الجواب. قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ يَوْمَ لَا تُمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (الانفطار: 17- 19).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ (المطففين: 7-9). وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (المطففين: 18-21).

أما عبارة "وما يدريك" - حين يوردها الخطاب القرآني - فلا يأتي بعدها بالشرح أو الإيضاح. وقد وردت ثلاث مرات في الشورى ، والأحزاب ، وعبس. وفي ذلك يقول ابن عاشور: « وَاسْتَعْمَالُ مَا أَدْرَاكَ غَيْرُ اسْتِعْمَالٍ مَا يُدْرِكُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَمَا يُدْرِكُ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا [الأحزاب: 63] وَقَوْلِهِ: وَمَا يُدْرِكُ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ فِي سُورَةِ الشُّورَى [17]. رُويَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ مِنْ قَوْلِهِ: مَا أَدْرَاكَ فَقَدْ أَدْرَاهُ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ قَوْلِهِ: وَمَا يُدْرِكُ فَقَدْ طَوِيَ عَنْهُ» (12).

2-3-2 - نماذجية الفعل المضارع بعد أدوات الاستفهام: يخلو الفعل المضارع بعد الاستفهام من التوكيد إلا في آية واحدة ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كُذُّهُ مَا يَغِيظُ﴾ (الحج: 15). أي أن الفعل المضارع الذي يرد بعد الاستفهام لا يؤكد بنون التوكيد، إلا في هذه الآية، فما سر ذلك؟ أما بقية النماذج من المضارع المثبت بعد الاستفهام فكثيرة نورد هذه الآيات. قال جل وعلا: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (الكهف: 94). وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ (فاطر: 43). وقوله سبحانه: ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ (الأحقاف: 35). غير أننا لم نعثر على أي إشارة إلى سبب إيراد التعبير القرآني الفعل "يُذْهِبُ" في آية الحج، بنون التوكيد، في كثير من التفاسير التي اطلعنا عليها؛ كالكشف، وروح المعاني، والمحرم الوجيز، وفتح القدير، والتحرير والتنوير، والتفسير الوسيط، وتفسير الشعراوي، وغيرها.

وهذا أمر لافِت للنظر؛ إذ لماذا أورد التعبير القرآني هذا الفعل فقط - المسبوق باستفهام - وحده في كل الخطاب القرآني، بنون التوكيد؟ إنَّ الجواب يتطلب تنقيباً وحفرًا في طبقات الخطاب، وبحثاً في أسباب النزول، وربط كل ذلك بالسياق الموضوعاتي للسورة. فلو نظرنا إلى مادة الفعل؛ وهي: [ذ ه ب] التي وردت بصيغة الرباعي؛ أي أذهب، لألفيناها تدل على الإزالة التامة للشيء، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (الأحزاب: 33). والدلالة القرآنية في هذه الآية ليست واضحة تمام الوضوح. يقول ابن عاشور: «مَوْقِعُ هَذِهِ الْآيَةِ غَامِضٌ، وَمُقَادَرُهَا كَذَلِكَ. وَلْتَبَدَّ بَيَانٌ مَوْقِعُهَا ثُمَّ تُشْعِهْ بَيَانٌ مَعْنَاهَا فَإِنَّ بَيْنَ مَوْقِعِهَا وَمَعْنَاهَا اتِّصَالًا. فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَوْقِعُهَا اسْتِثْنَاءً ابْتِدَائِيًّا أُرِيدَ بِهِ ذِكْرُ فَرِيقٍ

ثَالِثٌ غَيْرِ الْقَرِيقَيْنِ الْمُتَقَدِّمَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ [الْحَج: 8] الْآيَةِ، وَقَوْلِهِ: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ [الْحَج: 11]. وَهَذَا الْقَرِيقُ الثَّالِثُ جَمَاعَةٌ أَسْلَمُوا وَاسْتَبَطُوا نَصَرَ الْمُسْلِمِينَ فَأَيَسُوا مِنْهُ وَغَاطَهُمْ تَعَجُّلُهُمُ لِلدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَأَنْ لَمْ يَتَرَيُّوا فِي ذَلِكَ وَهَوْلًا هُمْ الْمُتَأَفِّقُونَ⁽¹³⁾.

إنَّ الخطاب القرآني - إذن - في الآية السابقة، يردّ على الكفار أو على المنافقين الذين شككوا في نصره الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، والذين يؤسوا من نصرته، وانتصاره على الكفار، بل وحقّدوا عليه كثيراً، فكان الفعل "يُذهبن" مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة، وليس الخفيفة؛ أي ليس "يُذهبن"، وذلك ليتساوى الفعل في قوته مع العناد الكبير للكفار والمنافقين وغيرهم، وحقدهم الذي لا ينتهي، على هذا الدين واصحابه.

2- 4 - نماذجية أسلوب الأمر: يقول باحث معاصر: «قد أوقفتني دراستي للقرآن على أن القرآن خلا من توكيد فعل الأمر بالنون مع كثرته في القرآن، والمضارع المجزوم بلام الأمر، والمضارع بعد التمني والترجي، والعرض، والتضيض»⁽¹⁴⁾.

3 - نماذجية الأساليب الخبرية: ونعرض فيها لبعض اساليب الشرط، والعطف، ولا النافية للجنس.

3- 1 - نماذجية أسلوب الشرط:

جاء في كتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم أنّ النحاة أشاروا إلى ظواهر نحوية مطّردة، لا تتخلف في الخطاب القرآني؛ منها تأكيد المضارع بعد (إن) الشرطية المدغمة في (ما)، أي (إمّا) لأنه لم يقع في القرآن إلا مؤكداً. وإلغاء عمل (إذن) كما في قوله تعالى: {وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا}. ولا يكون الشرط مضارعاً، والجواب ماضياً. ولم يقع بعد (سواء) إلا الجملة الفعلية التي فعلها ماض، ولذلك استهجن الأخفش وقوع الاسمية، والفعلية التي فعلها مضارع بعدها... إلخ.⁽¹⁵⁾

والأمثلة المؤكدة لهذا الرأي من القرآن هي كالآتي:

3- 1- 1 - تأكيد المضارع بعد "إن" الشرطية المدغمة في "ما": قال تعالى: ﴿وَإِذَا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (الأعراف: 200). وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا تَرِيتُ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (مريم: 26). وقال جل وعلا: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هَذَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 38). وقال جل وعلا: ﴿فَإِمَّا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَسَرَدَ بِهِمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾

(الأنفال: 57). وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: 68). قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ (الأعراف: 35). قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يُنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: 200).

إلا أن ابن عاشور يرى أمراً آخر ويقول في تفسير آية الأنفال 57: «دُخُولُ نُونِ التَّوَكُّيدِ بَعْدَ (إِنْ) الْمُؤَكَّدَةِ بِهَا، غَالِبٌ، وَلَيْسَ بِمُطَرِّدٍ، فَقَدْ قَالَ الْأَعَشَى: إِنَّمَا تَرَيْنَا حَقًّا لَا نَعَالُ لَنَا... إِنَّا كَذَلِكُ مَا تَحْفَى وَتَنْتَعِلُ

فلم يدخل نون التوكيد على الفعل» ⁽¹⁶⁾. ويقصد أن الأعشى ترك نون التوكيد في الفعل "تَرَيْنَا"، ولم يقل: تَرَيْنَا. ولعل هذا الرأي صحيح، في اللغة، أما الخطاب القرآني فلم يوظف الحرف "إمّا" الذي هو للشرط، من دون توكيد الفعل المضارع بالنون. فإذا لم يكن في الخطاب معنى الشرط، فإنه لم يؤكد الفعل المضارع، كقوله عز وجل: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (طه: 65). كما قد يستغني عن الفعل المضارع، ويأتي بدلاً منه باسم؛ كقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَثْنَتْنَاهُمْ فَأَسْدُوا الْوَتَاقَ فَإِنَّمَا مِنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ﴾ (محمد: 5). وقوله عز من قائل: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾ (الإنسان: 3). وفي هذا المعنى يقول ابن عطية: «دخلت النون مع «إمّا» تأكيداً، ولتفرق بينها وبين إمّا التي هي حرف انفصال، في قولك جاءني إمّا زيد وإمّا عمرو» ⁽¹⁷⁾.

3 - 1 - 2 - عدم مجيء فعل الشرط مضارعاً وجوابه ماضياً: وهذا الظاهرة لاحظها أحد الباحثين، ولم يعللها ⁽¹⁸⁾. ولعل حظ هذا من الفصاحة قليل، والقرآن لا يأتي إلا بالأفصح والأفضل والأبين. فأسلوب الشرط قد يرد على أربعة أنماط من حيث تصريف الفعل؛ إمّا ماضٍ مع ماضٍ مثل: إن اجتهدت نجحت. أو مضارع مع مضارع مثل: إن تجتهد تنجح. أو ماضٍ مع مضارع مثل: إن اجتهدت تنجح. أو مضارع مع ماضٍ مثل: إن تجتهد نجحت. وهذا النموذج الأخير هو الذي لم يوظفه التعبير القرآني. فالأكثر توظيفاً هو النمط الثاني، وهو الأصل في أسلوب الشرط كما يقرره النحاة. وفي القرآن كثير من الشواهد. قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (فاطر: 16). ولم يقل: إن شاء أذهبكم. وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: 7). ولم يقل: فمن عمل مثقال ذرة رآه.

3 - 1 - 3 - ويضيف الباحث السابق أنه لم يقع خبر (لا) النافية للجنس اسماً صريحاً مفرداً، وإنما جاء ظرفاً وجاراً ومجروراً ⁽¹⁹⁾.

ومن نماذجية لا النافية للجنس نذكر بعض الأمثلة المؤكدة لهذا الرأي ، إلا أن خبرها قد يكون محذوفاً بعد شبه الجملة ، عند النحاة الذين يعتبرون الخبر متعلقاً بمحذوف في أشباه الجمل. ففي قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّغْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة: 197)، يؤول بعضهم الخبر بلفظ "حاصل"، أو "كائن"، أو غيرهما. ولكن المهم في هذا أن القرآن الكريم لم يصرح ابداً بالخبر المفرد لـ"لا" النافية. ومثله أيضاً قوله عز وجل: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِنْهُمْ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: 203). فيكون خبر لا النافية في الآيتين هو: لا رفث كائن / حاصل في الحج ، ولا إثم حاصل / واقع عليه ، ومن ثم يكون خبر لا النافية للجنس مفرداً. أما بقية الآيات الخاصة بها فموافقة لما زعمه الباحث ؛ كقوله جل وعلا: ﴿لَا جَزَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخُسْرُونَ﴾ (هود: 22).

3-1-4 - نماذجية أسلوب التقديس والتمجيد: اقتصر التعبير القرآني في تمجيد الذات الإلهية وتقديسها على عبارتين اثنتين هما: الحمد لله ، وسبحان* الله. والغريب في هذا التوظيف ، أن العبارة الأولى لا تأتي مع لفظ "رب" ؛ فلا يقال: الحمد للرب ، ولا لرب الناس ، ولا لرب العالمين ، إلا إذا سُبِّحَتْ بلفظ الجلالة "الله" ؛ كما في الفاتحة... ولا يمكن تغيير عبارة التمجيد والتقديس ، أو إبداع غير المعروف منها ؛ مثل أن يقال: "سلام على الله" ، (إذا أردنا تنزيهه تعالى وتسبيحه)، ولا زيادة في الأسماء الحسنى ؛ كأن يقال: "المهندس الأكبر" ، أو الأعظم.. إلخ.

ولم يرد في القرآن الكريم عبارة: "الشكر لله" مطلقاً ، كما لم يرد تعبير: احمداوا الله ، ولكن العكس هو الذي أورده القرآن الكريم: فمع مادة "حمد" يجعلها مصدراً ، فيقول: الحمد لله ، ولله الحمد. ومع مادة "شكر" يجعلها فعلاً ، ماضياً أو مضارعاً أو أمراً ؛ فيقول: اشكروا لي ، واشكروا لي ولوالديك ، ولئن شكرتم ، ولعلكم تشكرون...

3-1-5 - نماذجية كلمة "كل" ؛ تأكيداً وغير تأكيد: فإذا كانت نكرة منصوبة تقدمت على عاملها ؛ كقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا﴾ (الفرقان: 39). يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: «وَالْتَّنْوِينُ فِي كُلِّ تَنْوِينٍ عَوْضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ. وَالتَّقْدِيرُ: وَكُلُّهُمْ ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَانْتَصَبَ كُلُّ الْأَوَّلِ بِاضْمَارِ فِعْلِ يَدُلُّ عَلَيْهِ ضَرَبْنَا لَهُ تَقْدِيرُهُ: حَاطَبْنَا أَوْ حَدَرْنَا كُلًّا وَضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ، وَانْتَصَبَ كُلُّ الثَّانِي بِاضْمَارِ فِعْلِ يَدُلُّ عَلَيْهِ تَبَرْنَا وَكِلَاهُمَا مِنْ قَبِيلِ الْإِشْتِعَالِ»⁽²⁰⁾. ولكنه لم يعرض لسبب تقديم "كُلًّا" في مثل هذه المواضع. وقال سبحانه:

﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾
 (النساء:95). وقال جل وعلا: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَهُودًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾
 (الأنعام:86).

إنَّ تقديم "كُلًّا" المنصوبة في كل هذه المواضع ، من دون تخلف ؛ أي أنها لم ترد متأخرة في أيّ موضع من القرآن الكريم* ، وترد في كل مرة مسبقة بحرف "الواو" ، لدليل على عادة القرآن في تعبيره عن المعاني المتشابهة ، أو المواقف المتماثلة ، ودليل على نماذجية الخطاب القرآني في اتخاذ أساليبه. أما عن تأويل الظاهرة ، فالأمر يحتاج إلى نظر أكثر في موضوعات القرآن التي من أجلها ساق هذا النموذج التعبيري ، والنظر في السياقات الأخرى المشابهة لها ، واستقراء كلام العرب وسننها ، والبحث عن أفصح الأساليب ، وإحصاء كل ذلك ضمن إطار خاص ، أو حقل دلالي معيّن ، ربما أسعفنا الحظ في إيجاد الرابط المعنوي بينها.

أما توظيف كلمة "كل" توكيداً معنوياً ، فقد استعملها الخطاب القرآني لتوكيد كلمة "الدين" خصوصاً ، في أربعة مواضع ؛ كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (الفتح:28)* . أو كلمة "الأمر" التي أكرها مرة بكلمة "كله" في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ﴾ (هود:118) ، ومرة بكلمة "جميعاً" في قوله جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ (الرعد:31). وجمع الخطاب القرآني بين "كل" و"جميع" في موضوع واحد ، هو سجود الملائكة لآدم ، وفي آيتين فقط ؛ قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (الحجر:30) ، وقوله سبحانه: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (ص:73). مع فارق طفيف في بعض كلمات السياق السابق والسياسي اللاحق لهذه الآية المكررة. فلماذا هذا الالتزام بهذا الشكل ؟ إنَّ الأمر يحتاج إلى قراءة فاحصة لكل مفردات سياق الآيات وموضوعاتها ، وسابقتها ولاحقها ، لنتمكن من الاقتراب من الدلالة المقصودة ، ومن سر الإعجاز القرآني المنشود.

4 - نماذجية العطف: يوظف التعبير القرآني أحرف العطف بطريقة خاصة أيضاً ، فيعطف بحرف معيّن صيغة صرفية واحدة لا غير. وبحرف آخر يخصص نمطاً شكلياً ، أو نموذجاً تعبيرياً مختلفاً يحافظ عليه باطراد ، وهكذا. يقول باحث معاصر: « جاءت (ثم) العاطفة في

مواضع كثيرة من القرآن: بلغت في إحصائي ثلاثين وثلاثمائة موضع. جاءت (ثم) في هذه المواضع كلها عاطفة للجملة على الجملة، والجار والمجرور على الجار والمجرور، وللفاعل على الفعل. ولم تقع في القرآن عاطفة اسماً مفرداً على اسم مفرد.. جاءت الفاء عاطفة مفرداً على مفرد، وجملة على جملة في القرآن. وكان عطفاً للمفرد مقصوراً على عطف اسم الفاعل على اسم الفاعل، لم تتجاوز هذا»⁽²¹⁾.

والأمثلة على الفاء العاطفة لاسم على اسم لا تتعدى ثمانية مواضع هي: ﴿والصافات صفا. فالزاجرات زجرا. فالتاليات ذكرا﴾ (الصافات: 1- 3). ﴿والذاريات ذروا. فالحاملات وقرا. فالجاريات يسرا. فالمقسمات أمرا﴾ (الذاريات: 1- 4). ﴿والسابحات سبحا. فالسابقات سبقا. فالمدبرات أمرا﴾ (النبا: 3- 5). ﴿والمرسلات عرفا. فالعاصفات عصفا. والناشرات نشرا. فالفارقات فرقا. فالملقىات ذكرا﴾ (المرسلات: 1- 5). ﴿والعاديات ضبحا. فالموريات قدحا. فالمُغِيرَات صَبْحًا﴾ (العاديات: 1- 3). ﴿لَاكُلُونِ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُكُومٍ. فَمَا لُتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ. فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ. فَشَارِبُونَ شَرْبَ الْهِمِيمِ﴾ (الواقعة: 52- 55). ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق: 6). ﴿وَإِنِّي مَرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: 35).

والخيطة الرابط لهذه الآيات موضوعاتياً هو أنها من السور المكية كلها، ودلالياً، هو اشتغالها على أسلوب التوكيد، إما بالقسم، أو بأداة "إِنَّ" و"لَا" التوكيد. كما أن معظم المعطوفات التي ليست جملاً، وعُطِفَتْ بحرف الواو، وردت بصيغة جمع السالم؛ مذكراً ومؤنثاً، ولا سيما في المجال العقائدي. فالخطاب القرآني لا يقول: إِنَّ الْمُؤْمِنَ وَالْيَهُودِيَّ وَالنَّصْرَانِيَّ وَالْمَشْرِكَّ.. إلخ، إنما يأتي بهم جمعاً. كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة: 62). وكقوله تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (الأحزاب: 73).

ويقول هذا الباحث أيضاً: «لو تتبعنا استعمالات القرآن الكريم لَحَتَّى لوجدنا: أ- حتى العاطفة لم تقع في القرآن. ب- حتى الجارة للاسم الظاهر الصريح جاءت جارة للفظ (حين) نكرة في ستة مواضع:

- 1 - ليسجنَّه حتى حين [12: 35]. 2 - فتربصوا به حتى حين [23: 25]. 3 - فذرهم في غمرتهم حتى حين [23: 54]. 4 - فتول عنهم حتى حين [37: 174]. 5 - وتول عنهم حتى حين [37: 179]. 6 -

تمتعوا حتى حين [51: 43]. وجاءت جارة لاسم زمان أو مصدر ميمي في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [97: 5]. لم هذا الالتزام؟ أقول: الله أعلم بأسرار كتابه ⁽²²⁾.

ويمكن ملاحظة أمر آخر في ظاهرة النماذج التعبيرية في الخطاب القرآني، هو توظيفه بعض الكلمات مكررة في سورة ما، وليس في أخرى، وإن كان الموضوع واحداً؛ مثل تكرار كلمة "القارة" ثلاث مرات في بداية السورة التي تحمل الاسم نفسه، وليس في بداية سورة الحاقة، التي هي أيضاً كررت فيها كلمة "الحاقة" بالمأنوال نفسه في بداية السورة. وبمعنى آخر، لماذا لم يأت التعبير القرآني بهذا الشكل: الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة، يوم يكون الناس كالفرش المبثوث؟ أو العكس؛ أي القارة ما القارة وما أدراك ما القارة كذبت ثمود وعاد بالقارة. وخاصة أن ثمود وعاداً كذبوا بالقارة نفسها ^{**}.

5- الاستغناء عن ذكر الفاعل: بالبناء للمجهول، أو إسناد الفعل إلى غير فاعله: لاحظت بنت الشاطئ هذه الظاهرة في التعبير القرآني، حين يكون الحديث عن يوم القيامة، حيث تتغير مظاهر الكون. وضربت أمثلة متعددة على ذلك ⁽²³⁾. مثل الآيات التالية: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾. ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾. ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾. ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾. ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾.

ومن إسناد الفعل لغير فاعله ذكرت الباحثة الآيات التالية: ﴿اقتربت الساعة وأنشأ القيوم﴾. ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾. ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انَّتَفَرَتْ﴾. ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾.

وتجيب منتقدة رأي البلاغيين في هذه المسألة قائلة: «بناء الفاعل للمجهول: فيه تركيز الاهتمام على الحدث، بصرف النظر عن محدثه والمطوعة: فيها بيان للطوعية التي يتم بها الحدث تلقائياً أو على وجه التسخير، وكأنه ليس في حاجة إلى فاعل» ⁽²⁴⁾. ويوم القيامة لا يسأل الإنسان عن فعل ذلك، لأنه لا تفيد معرفته، فالأهم أنه حصل، والمؤمن والكافر في هذا الموقف سيان، لأن الأمر أصبح عين اليقين.

وقد ذكرت أيضاً سر إيراد التعبير القرآني لواو القسم في الآيات المكية فقط، مثل: والليل، والشمس، والضحى... ولكن هذه الواو لم تتصل باسم من أسماء الله الحسنى أبداً، في مفتتح السور. يعني أن النموذج القرآني لأسلوب القسم لم يورد لفظ الجلالة، أو أي اسم

من أسماء الله الحسنى في بداية السور التي ابتدأها بالقسم ؛ فقد أقسم في بداية بعض السور بال مخلوقات الكونية العظيمة ؛ كالشمس والقمر والنجم والنهار والليل والفجر والضحي ، وبعض الملائكة ؛ كالنازعات ، والناشطات ، والسابحات ، كما أقسم بالحيوان (العاديات) ، والثمار (التين والزيتون). لكنه لم يورد القسم بالله أو بالرب ، أو باسم من أسمائه الحسنى. إنما أتى بهذا القسم في متن السور. فما السر في ذلك ؟

وقد فسرت الباحثة ورود واو القسم هذه ، في بداية بعض السور تفسيراً غير مقنع ، إذ يمكن تعويضها بعبارة القرآن المعروفة: لا أقسم ، ولا شيء يتغير في تحليلها وتأويلها.

6- نماذجية تواتر دلالة الألفاظ: هذا مبحث طريف ودقيق للغاية ، بعيد الغور ، صعب سبر كنهه ، ولكن مظاهره ونماذجه بادية للعيان ، لا تكاد تتخلف في جُلّ سياقات الخطاب القرآني. إذ نجدده يشحن مفرداته بطاقة دلالية لم يتعارف عليها أصحاب اللغة ، فيعرض ألفاظه بطريقة غاية في الدقة والضبط لدلالة المفردة الواحدة ، فهو يعطيها دلالة واحدة حين تكون بصيغة صرفية خاصة ، وقد يحدد لها دلالة خاصة محددة من حيث مادتها المعجمية ، كيفما وردت صيغتها الصرفية ؛ من ذلك الأمثلة التالية:

6 - 1 - لفظ "المطر" : ورد فعلاً ، واسماً جامداً ، واسم مفعول ، وفي كل هذه الأحوال أتى بمعنى العذاب ، أو الأذى (المرض) ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف: 83). يقول الثعالبي: « ولم يأت لفظُ الإِمْطَارِ في القرآن إلا للعذاب كما قال عزّ من قائل: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾. وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوَّءًا﴾ وقال تعالى: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ⁽²⁵⁾ . وكذلك يتكرر المعنى نفسه في آيات أخر كلها مكية ، وفي مجال القصص. والآية الوحيدة التي ورد فيها لفظ "مطر" بمعنى الأذى ، هي آية مدنية وتختص بالأحكام الفقهية ، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ (النساء: 102). فكأنّ التعبير القرآني لا يريد أن يُغيّر من توظيف دلالة لفظ "مطر" ليُقيها دالة على مفهوم العذاب والأذى لا غير. وتلك هي نماذجيته في التعبير التي اختطّها والتزمها في الخطاب القرآني للدلالة على إعجازه الباهر.

والعجيب في كل هذا ، أنّ التعبير القرآني لا يورد هذه اللفظة بصيغة الجمع ، فلا يقول: أمطار مطلقاً ، وتلك ظاهرة أخرى من استعمالات القرآن لألفاظ اللغة. أما الناس فيوظفونها في مفهوم مغاير تماماً. كما يوظفونها مفرداً وجمعاً من دون تحديد. وقد قال فيها

ابن منظور: «والمَطَرُ: فِعْلُ المَطَرِ ، وَأَكْثَرُ مَا يَجِيءُ فِي الشَّعْرِ وَهُوَ فِيهِ أَحْسَنُ ، وَالمَطَرَةُ: الواجدة. وَمَطَرْتُهُمُ السَّمَاءُ تَمْطُرُهُمْ مَطَرًا وَأَمْطَرْتُهُمْ: أَصَابَتْهُمْ بِالمَطَرِ »⁽²⁶⁾.

ومن ذلك ما ورد في قصيدة المنفرجة. قال الناظم: «وَسَحَابُ الْخَيْرِ لَهَا مَطَرٌ... فَإِذَا جَاءَ الْإِبَانُ تَجَى»⁽²⁷⁾ ، فاللفظة موطّفة في مجال الخير كما نرى. وكذلك استخدمها شعراء كثير قديما وحديثاً.

6 - 2 - لفظ "الريح" و"الرياح": قال الثعالبي: «لم يأت لفظ الريح في القرآن إلا في الشر ، والرياح إلا في الخير ، قال الله عز وجل: وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذُرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ غَالِيزِيمٍ (الذاريات: 41 - 42). وقال سبحانه: إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (القمر: 19-20). وقال جل جلاله: وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ (الأعراف: 57). وقال: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَعْلَمُوا أَنَّكُمْ تُشْكِرُونَ (الروم: 46)»⁽²⁸⁾.

وفي تأويل هذا التوظيف يقول أحدهم: «ولعل السبب في ذلك أن ريح الشر ، تهب مدمرة عاصفة ، لا تهدأ ، ولا تدع الناس يهدؤون ، فهي لاستمرارها ريح واحدة ، لا يشعر الناس فيها بتحول ولا تغير ، ولا يحسون بهدوء يلّم بها ، فهي متصلة في عصفها وشدة تحطيمها ، وذلك مصدر الرهبة منها والفرع ، أما الرياح التي تحمل الخير فتهدأ حيناً ، وتهدأ حيناً ، لتسمح للسحب أن تُمطر ، فهي متقطعة تهب في هدوء ، ويشعر المرء فيها بفترات سكون ، وأنها رياح متتابعة ، ففي تعبير القرآن تصوير للإحساس النفسي»⁽²⁹⁾.

وقد يكون هذا التأويل صحيحاً ، لكن ماذا عن توظيف القرآن للفظ "الصاعقة" التي وردت ست مرات ، و"الصواعق" مرتين ؟ وكله اختص بالعذاب. وماذا عن استخدام العرب لفظ الريح والرياح ؟ أيأتيان دائماً في هذا المجال الذي أورده القرآن ؟ أم أنهم يوظفونه في معنى حيادي ، كما فعلوا بلفظ "مطر".

يقول باحث معاصر: «الرياح الأصول أربع: إحداها الشمال ، وتأتي من ناحية الشام وهي شمال من استقبال مطلع الشمس ، وهو بمكة المكرمة ، وهذه الريح حارة في الصيف ، باردة في الشتاء ، والثانية الجنوب مقابلتها ، وهي الريح اليمانية ، والثالثة الصبا بفتح الصاد ، وتأتي من مطلع الشمس ، وتسمى القبول أيضاً ، والرابعة الدبور ، وتأتي من جهة المغرب ، قال نبينا - صلى الله عليه وسلم -: (نصرت بالصبا ، وأهلك عاد بالبور)»⁽³⁰⁾.

ومع ذلك ، فقد أورد التعبير القرآني لفظ "ريح" في مجال الخير ، إلا أنه أضاف إليها وصفاً ليدل بها عليه ، فقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ (يونس: 22). كما أوردتها في مجال آخر مختلف بمعنى الدولة والقوة ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فِتْنَشْلُوا، وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: 46)؛ أي دولتكم وقوتكم ، شَبَّهَتْ في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها ، يقال: هبت ريح بني فلان إذا دالت لهم الدولة ، ونفذ أمرهم⁽³¹⁾.

وقد ورد لفظ "الرياح" في معلقة عمرو بن كلثوم القائل:

كَأَنَّ مَتُونَهُنَّ مَتُونُ عُذْرٍ... تَصْفَقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرِينَا.

وقال لبید:

ويكفلون ، إذا الرياح تناوحت... خلجاً تمد شوارعاً أيتامها.

فهنا وظف الشاعران لفظ "الرياح" بصيغة الجمع ، ولعل السبب في ذلك راجع إلى ضرورة الوزن ، لأن صيغة المفرد لا تطاوعهما ، ولا سيما إذا علمنا أن مثل هذه الألفاظ وصيغها لا يحدد لها الشعراء مجاًلاً دقيقاً ، إنما تستخدم بحسب الحاجة وللضرورات الشعر. مثلما أتى بها لبید مفردة في قوله: وغداة ريح قد ورغت وقرّة... إذ أصبحت بيد الشمال زمامها.

وتورد عائشة عبد الرحمان ما يشبه ذلك قائلة: «والأصل في منهج هذا التفسير.. هو تناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه ، فيُجمع كل ما في القرآن منه ، ويُهتدى بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب ، بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك»⁽³²⁾. والمقصود بالتناول الموضوعي هو الدراسة الموضوعاتية ، وهو منهج أدبي نقدي ، يتناول الأثر الأدبي ، أو الآثار الأدبية لأديب ما بالدراسة والتحليل من زاوية الموضوعات المطروحة فيها. وتقول في موضع آخر بأنّ كلما ورد لفظ "هؤلاء القوم" في القرآن الكريم فهو يعني مشركي قريش. أي أنّ هذا النموذج التعبيري صار علامة لغوية خاصة. يقصد بها كفار قريش تحديداً. ومن ثمّ ، وجب على المفسر أن يعي هذا حين ينبري لإيضاح دلالة آيات الخطاب القرآني.

والمنهج الموضوعاتي ، إذا ساند منهج الإحصائي ، يصير قادراً على تحديد دلالات الأساليب القرآنية ، وألفاظه إلى درجة كبيرة ، وعلى حصر المعنى المراد من الآيات. وبهذه الطريقة تمكّن تمام حسان فيما يبدو من تحديد دلالة الانتقاص في لفظة "هؤلاء" حيثما وردت في السياق القرآني. وأضافت عائشة عبد الرحمان دلالة أخرى لهذه اللفظة هي اختصاصها بقريش تحديداً.

7 - ابتكارات القرآن الكريم للأساليب والصور: قال علي بن أبي طالب في بعض عبارات النبي (ص): لم أسمعها من عربي قبله ، وذلك في مثل قوله (ص): «الآن حَيَّ الوطيس » ، وقوله (ص): « مات حتف أنفه » . فإذا كان هذا شأن أسلوب النبي (ص) ، فإن أسلوب الخطاب القرآني قد تفرّد في بعض جوانبه بمثل هذه الابتكارات الجديدة. قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَبَأٌ مَّا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (الزمر: 51) ، «الإشارة بهؤلاء إلى المشركين من أهل مكة وقد بيّنا غير مرّة أنّنا اهتدينا إلى كشف عادية من عادات القرآن إذا ذكرت فيه هذه الإشارة أن يكون المراد بها المشركون من قُرَيْشٍ» ⁽³³⁾.

7 - 1 - صورة النجم الثاقب: ويرد أيضاً ، بلفظ شهاب ثاقب. قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿النجم الثاقب﴾: «وَأَحْسَبُ أَنَّ اسْتِعَارَةَ الثَّقَبِ لِبُرُوزِ شُعَاعِ النُّجْمِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ ، وَلَمْ يَرِدْ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْقُرْآنِ» ⁽³⁴⁾ . وهذا دليل على تفرّد أسلوب القرآن ، وتميّزه عن خيال الشعراء ، لأنّ ما يورده القرآن هو حقيقة ، وإن كُنّا لا ندركها ، كما لا ندرك تسبيح الكائنات الأخرى.

7 - 2 - صورة أكل المال: هذا الأسلوب والتعبير عن الاعتداء على حقوق الناس ؛ كالتياهي والقاصرين وغيرهم ، خاص بالقرآن الكريم ، فقد جعله تعبيراً عما يؤول إليه فعل الاعتداء على الأموال ، وهو أن يصرف هذا المال فيما يعود بالنفع على المرء ، وأهم شيء في ذلك هو الأكل الذي يعتاش به الإنسان. يقول ابن عاشور في شرح قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاتِ أَكْلًا لَمَّا﴾ (الفجر: 19) «وَالْأَكْلُ: مُسْتَعَارٌ لِلانْتِفَاعِ بِالشَّيْءِ انْتِفَاعًا لَا يُبْقِي مِنْهُ شَيْئًا. وَأَحْسِبُ أَنَّ هَذِهِ الاسْتِعَارَةَ مِنْ مُبْتَكِرَاتِ الْقُرْآنِ إِذْ لَمْ أَقِفْ عَلَى مِثْلِهَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ» ⁽³⁵⁾.

ولعل هذا الأمر صحيح ، إذ إنّ العرب تعبّر عن استغلال المال ، أو إنفاقه بعبارة "أهلك المال" ، والتي تعني أنفقه بوجه حق أو غيره. وقد تردد هذا المعنى عند غير واحد من الشعراء القدامى ؛ كقول عنتره في معلقته أيضاً:

فإذا شربتُ فإنني مستهلك مالي ، وعرضي وافرٌ لم يكلم ⁽³⁶⁾

وقد كرر القرآن الكريم هذا التعبير على لسان الكفار ، فقال جل وعلا: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ (البلد: 5 - 6). أما أخذ المال بغير وجه حق ، واستغلاله ، فقد اقتصر الأسلوب القرآني على نموذج واحد هو: أكل المال ، للدلالة على الاستحواذ عليه وإنفاقه على النفس. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ثَارًا (النساء:10). وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ (التوبة:34). وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ (البقرة:188). وأحيانا يذكر كلمة "السحت"، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ لَوْلَا يُنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة:62 - 63). والسحت هو المال الحرام بكل أصنافه. قال ابن عاشور: «وَالسَّحْتُ يَشْمَلُ جَمِيعَ الْمَالِ الْحَرَامِ، كَالرِّبَا وَالرِّشْوَةِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَالْمَغْصُوبِ»⁽³⁷⁾. ولم يرد إلا في سورة المائدة، ثلاث مرات لا غير، وكان المقصود من أكلي السحت هم الأخبار والرهبان من يهود ونصارى تحديداً.

والتعبير عن اغتصاب مال الآخرين بالأكل، فيه صورة التفرز النفسي، والشعور بالظلم وبهضم الحقوق بغر وجه شرعي، وفيه صورة استهلاك هذا المال بحيث يصعب استرداده في كثير من الأحيان. إلى غير ذلك ما قد تشير عبارة "أكل المال".

8 - الاقتصار على نموذج واحد: هو أن يتبنى التعبير القرآني أسلوباً واحداً قد يُؤدَّى بأكثر من نموذج؛ كأن يقتصر في كل الخطاب القرآني على أداة النداء "يا"، من كل أدوات النداء. وقد يحذفها أحياناً، وإيرادها وحذفها يكونان مطردين دائماً. وكأن يقتصر أيضاً على إهمال عمل "إذن" الناصبة. ويوظف صيغتي التعجب "أفعل به!" و "ما أفعله!"، بنسب قليلة جداً، وصيغتي المدح والذم (نَعَمْ وَبِئْسَ)، بنسب كبيرة، ولا يوظف صيغة حبذا.. وهكذا مع بقية الأساليب اللغوية الأخرى.

إن كثيراً من النماذج الأسلوبية في الخطاب القرآني، لتجعل العقل حائراً في تأويلها وتدعوه إلى أعمال النظر طويلاً، فهي تشبه الحروف المقطعة التي في أوائل السور، والتي لم تؤوّل التأويل المقنع الشافي، من حيث عددها، وطريقة تركيبها، ومكان إيرادها من السور، ودلالاتها. ومن هذه النماذج خلو سور الرحمان والواقعة والقمر من ذكر لفظ الجلالة "الله"، وخلو سور الحديد والمجادلة والحشر من ذكر لفظ "رب". وهذه السور كلها متتالية في ترتيب المصحف، ولكنها في ترتيب النزول مختلفة؛ فمنها المكّي ومنها المدني. وكذلك عدم توظيف أسلوب الاختصاص والإغراء، وتوظيف أسلوب التحذير مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ (الشمس:13)، وتوظيف أسلوب التعجب بصيغة "ما أفعله"

مرة واحدة أيضاً في قوله جل وعلا: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (البقرة: 175).

إنّ عادة التعبير القرآني أن يلتزم بنموذج أسلوبى لا يحيد عنه ، في دلالاته على موضوع محدد ، ولكن أحياناً يستثني من كل ذلك آية أو آيتين. ويكون ذلك لغرض ما ، ولمعنى خاص يتطلبه المقام والسياق والحالة المعبر عنها. ويكون بذلك الاستثناء الذي يؤكد القاعدة. إنها الهندسة الربانية لأسلوب الخطاب القرآني المعجز.

9- خاتمة:

إنّ أهم ما نخرج به من هذه الدراسة ، هو أنّ التعبير القرآني نسيج دقيق ، ويأتي بحساب مضبوط ، وباختيار فريد للألفاظ والأساليب ، يصطفي منها نموذجاً لكل منها بطريقة خاصة لا تتخلف في الخطاب القرآني ، يصعب أحياناً كثيرة أن نقف على الدلالة الشافية الكاملة لكل ذلك ، مثله كمثّل الحروف المقطعة في أوائل السور ؛ فهو يستخدم اللغة بنماذج دقيقة ، لا يحيد عنها إلا نادراً ، إنّ على مستوى الألفاظ أو على مستوى الأساليب ، ويوزعها توزيعاً عجيباً على الخاطبين المكي والمدني ، مما يدل على أنّ هذا البناء فوق مستوى البشر ، وسيبقى موضوعاً خصباً للبحث والنظر والاستنباط.

10- قائمة المراجع:

- 1 - الطاهر بن عاشور ، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، الدار التونسية للنشر - تونس 1984 م
- 2 - ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، **تح:** عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط 1 ، 1422 هـ.
- 3- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر - بيروت ، ط 3 - 1414 هـ.
- 4- أحمد أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن ، نهضة مصر - القاهرة ، ، د ط ، 2005
- 5 - الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور ، فقه اللغة وسر العربية ، **تح:** عبد الرزاق المهدي ، إحياء التراث العربي ، ط 1 ، 1422 هـ - 2002 م.
- 6 - القاموس ، إنجليزي - عربي ، مركز البحوث والدراسات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2004.

- ⁷ - زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدين أبو يحيى السنيكي ، المنفرجتان (شعر ابن النحوي والغزالي) ، **تح:** عبد المجيد دياب ، د ت ، د ط ، دار الفضيلة - القاهرة.
- ⁸ - صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 24 ، 2000.
- ⁹ - عائشة عبد الرحمن ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق ، دار المعارف ، مصر ، 1971.
- ¹⁰ - عائشة عبد الرحمن ، التفسير البياني للقرآن الكريم ، دار المعارف - القاهرة ، ط 7 ، د ت.
- ¹¹ - عبد الرحمان أيوب ، دراسات نقدية في النحو العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1957.
- ¹² - محمد أركون ، القرآن من التفسير التراثي إلى تحليل الخطاب الديني ، تر: هاشم صالح ، دار الطليعة بيروت ط 2 ، 2005.
- ¹³ - محمد الجوادي ، كلمات قرآنية لاستعملها ، دار الشروق ، ط 2 ، 1997.
- ¹⁴ - محمد عبد الخالق عزيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة ، د ط ، د ت.
- ¹⁵ - محمد علي طه الدرة ، فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال ، مكتبة السوادي جدة - السعودية ط 2 ، 1409 هـ - 1989 م.
- 16- ويكيبيديا ، موضوع التيبولوجيا. على موقع: <https://ar.wikipedia.org>

11- الهوامش والإحالات:

- ¹ - ينظر محمد أركون ، القرآن من التفسير التراثي إلى تحليل الخطاب الديني ، تر: هاشم صالح ، دار الطليعة بيروت ط 2 ، 2005 ، ص 99 - 100.
- ² - محمد الجوادي ، كلمات قرآنية لاستعملها ، دار الشروق ، ط 2 ، 1997 ، ص 14.
- ³ - ينظر ، ويكيبيديا موضوع التيبولوجيا. على موقع: <https://ar.wikipedia.org>
- ⁴ - القاموس ، إنجليزي - عربي ، مركز البحوث والدراسات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2004 ، ص 767
- ⁵ - عبد الرحمان أيوب ، دراسات نقدية في النحو العربي ، ص 126 - 127
- ⁶ - المرجع نفسه ، ص 127.
- ⁷ - ينظر صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 24 ، 2000 ، ص 181 وما بعدها.

⁸ - الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر - تونس 1984 هـ ، المقدمة ، ص 42.

⁹ - عائشة عبد الرحمن ، التفسير البياني للقرآن الكريم ، دار المعارف- القاهرة ، ط 7 ، د ت ، ص 14

¹⁰ - المرجع نفسه ، ص 15.

¹¹ - ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 27 ، ص 330.

* هناك آية واحدة ذكر فيها القسم بالواو مسنداً إلى لفظ الجلالة "الله" ، في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شِرْكَائِكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: 23 - 24). وهذا القسم كما هو ملاحظ ورد حكاية على لسان الكفار ؛ أي نقلاً لما تلفظوا به من كلام.

¹² - ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 29 ، ص 114.

¹³ - ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 17 ، ص 217 وما بعدها.

¹⁴ - محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة ، د ط ، د ت ، ج 1 ، ص 13

¹⁵ - ينظر ، المرجع نفسه ، ص 6. ويرد المؤلف على النحاة بأن بعضاً مما قالوه لا يتماشى مع آيات كثيرة في القرآن الكريم.

¹⁶ - ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 10 ، ص 49

¹⁷ - ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تج: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط 1 ، 1422 هـ ، ج 2 ، ص 542.

¹⁸ - محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، ص 13

¹⁹ - المرجع نفسه ، ص 13 وما بعدها

* هنا نلاحظ أن لفظ "سبحان" قد يرد بصيغة الفعل ، ماض أو مضارع أو أمر ؛ أي: سَبَّحَ ، يُسَبِّحُ ، سَبَّحَ. أما مع لفظ "الحمد فلا يرد إلا مصدراً.

²⁰ - المرجع نفسه ، ج 19 ، ص 29

* - بقية الآيات هي: هود: 119. مريم: 49. الأنبياء: 72. الحديد: 10.

* - وبقية الآيات هي: الأنفال: 39. التوبة: 33. الصف: 9.

²¹ - محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، ص 8 - 9

²² - دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عضيمة ، تصدير: محمود محمد شاکر ، دار الحديث ، القاهرة ، د ت ، د ط ، ج 8 ، ص 9. وقد كرر المحاضر عبارة "الله أعلم بأسرار كتابه" أكثر من مرة في الصفحات الموالية ، حين كان يشير إلى النماذج الأسلوبية القرآنية.

** علماً بأن هذا التكرار الثلاثي لم يرد إلا في هاتين السورتين. ولم تذكر ألفاظ الطامة والصاحه ، إلا مرة واحدة. في النازعات: 34 ﴿قَدْ أَفَاءَ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ ، وعبس: 33 ﴿قَدْ أَفَاءَ جَاءَتِ الصَّاحَةُ﴾. وذكرت القارعة مرة أخرى منفردة نكرة في سورة الرعد: 31 ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾. وذكرت الأزفة مرتين في غافر: 18 ﴿وَأَنْذَرْنَاهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ والنجم: 57 ﴿أَزَقَّتِ الْأَرْفَةُ﴾.

- ²³ - ينظر عائشة عبد الرحمن ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأوزق ، دار المعارف ، مصر ، 1971 ، ص 240 - 241
- ²⁴ - المرجع نفسه ، ص 241 - 242
- ²⁵ - الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور ، فقه اللغة وسر العربية ، **تح**: عبد الرزاق المهدي ، إحياء التراث العربي ، ط 1 ، 1422 هـ - 2002 م ، ص 266 - 267
- ²⁶ - ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر - بيروت ، **ط** 3 - 1414 هـ ، ج 5 ، ص 178
- ²⁷ - زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدين أبو يحيى السنيكي ، المنفرجتان ((شعر ابن النحوي والغزالي)) ، **تح**: عبد المجيد دياب ، **د** ت ، **د** ط ، دار الفضيلة - القاهرة ، ص 47
- ²⁸ - الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، ص 266.
- ²⁹ - أحمد أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن ، نهضة مصر - القاهرة ، 2005 ، **د** ط ، ص 109.
- ³⁰ - محمد علي طه الدرة ، فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال ، مكتبة السوادي جدة - السعودية **ط** 2 ، 1409 هـ - 1989 م ، ج 1 ، ص 26.
- ³¹ - ينظر المرجع نفسه ، ص 27
- ³² - عائشة عبد الرحمن ، التفسير البياني للقرآن الكريم ، ج 1 ، دار المعارف - القاهرة ، ط 7 ، ص 17
- ³³ - ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 24 ، ص 28
- ³⁴ - المرجع نفسه ، ج 30 ، 333
- ³⁵ - ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 30 ، 259
- ³⁶ - محمد علي طه الدرة ، فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال ، مكتبة السوادي جدة - السعودية ، 1409 هـ - 1989 م ، ج 2 ، ص 127.
- ³⁷ - ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 6 ، ص 202.